

وحي الألم المقالة الثالثة

يوم الحب ويوم الكذب

إنني لئتملكني العجب من عادات بعض الناس، يحتفلون بالخب في يوم من أيام السنة، يتبادلون خلاله الهدايا والزهور، ثم يُبعونه بيوم آخر يُخصونه للكذب، ويتفننون في إتقانه وإشاعته.

فهل يكفي الخب _ إن صدقوا في دعوتهم له _ يومٌ عابرٌ تنبض فيه القلوب، وتفتر في الشفاء، وتهدى خلاله الزهور؟

ثم ينقضي هذا اليوم، فتجمد بعده القلوب بين الجوانح، ويذهل بعدها الجب عن حبيبه.

أم هل يحتاج الكذب إلى تخصيص يوم له؟

ينبع ويشيع الكذب فيه بين الناس بكل أنواعه: المقروء، والمسموع، والمصنوع، وذلك لأن الكذب لم يأخذ حظه الكامل من الناس، فكان لا بد من إنصافه واختصاصه بيوم يكون فيه هو الأصل، وما زاد بعد ذلك فناقة.

ألم يكفي الكذب ما يدور بين بعض الأزواج من زيف العواطف والكلام المعسول الذي يجعلها تظن أنها ليلاه، وهو قيسها، وفي حقيقة أمره ربما تمنى لها الموت اليوم قبل غد، كما قال قائلهم:

لقد كنت محتاجاً إلى موت زوجتي ولكن قرين السوء باقٍ معمر

فيا ليتها صارت قريباً لقبرها وعذبها فيه كبير ومكبر

فلو كان الحب صادقاً، والإيثار موجوداً، لما هذا الكم الهائل من المشكلات الأسرية، والتسبب العالية من الطلاق.

وانظروا إلى الكذب في ميدان العمل، فالعامل يتملق صاحب العمل، ثم يعشه ولا يخلص في عمله، وانظروا إلى الصديق مع صديقه، تمتد الصحبة بينهم سنين طوالاً، ويظهر بعدها الزيف والكذب، فلا صدق في المودة، ولا حفظ للعتية، ولو رحت أعدد لكم ألوان وصور الكذب في حياتنا لضاق بنا المقام، ولكن الذي أريد أن أقوله بعد كل هذا، هل نحن بحاجة إلى يوم للكذب، الجواب بالتأكيد: لا، نحن بحاجة إلى تخصيص يوم للصدق، يتجنب فيه الناس الكذب، فلا يقولون إلا حقاً، ويتعاملون بنصح بلا غش، وبإخلاص دون زيف

ثم أخبرونا أيها الناس لماذا تجعلون يوماً للحب أولاً، ثم تتبعونه بيوم للكذب بعده، فهل هذا هو الترتيب المنطقي لظهور زيف العواطف، حيث يكون الحب كله في شباط (فبراير)، ثم يظهر الكذب في أول نيسان (إبريل)، فأخشى ما نخشاه أن يكون تقليدنا لكل ما يفد إلينا من الخارج يقودنا إلى أن يصبح الحب المغشوش، والكذب الأبيض والأسود من طبائنا، والله در من قال :

غداً كُلُّ عُمْرِنَا إِبْرِيلاً

يَوْمَ سَنَّ الْفَرَنْجُ كِذْبَةَ إِبْرِيلَ

ولا تظنوا أننا بلا قلوبٍ أو عواطف، نريد غلق الأبواب أمام نسماتِ الهوى، فنمنعها الدخول، كلا بل نريد حباً صادقاً لمن هو أهل لهذا الحب، ولمن شرع له هذا الحب، ونريد عواطف خالصة صادقة لمن يستحقها.

فهل نبضت قلوبٌ بالحب كما اهتمت به جوانحنا؟

وهل شدت ألسنة بالحب كما صدحت به أشعارنا؟

وهل يوجد أدب من الآداب العالمية أخذ فيه الحب اهتماماً ومكانة كما هو الحال في أدبنا العربي؟.

لكننا لا نريد أن نسجن الحب في قالب من الحلوى يكون مستقره البطون، أو في زهرة ذابلة تكون نهايتها حيث تعلمون، وعلام أذهب بكم بعيداً أيها القراء؟ فلأوجز لكم القول في كلمتين: لا نريد قلوباً جافة لا يعرف الحب إليها سبيلاً كما أننا لا نريد حنا يملأ الأفئدة يزعم أصحابه أنه حب، بل نريد قلوباً عامرة بالحب المشروع الصادق.